سلسلة الثقافة الاسلامية

(١٠٦)

التقّرب الى الله

محمّد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي

اسم الكتاب: .... التقّرب الى الله

المؤلف:.. محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م

الكمية .... ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة........................مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾

الواقعة (٨٨ ـ ٨٩)

تقرب العبد إلى اللّه

القيم

للإسلام في حياة الناس طائفة من القيم، مثل الإيمان، والعدل، والصلاح، والإحسان، والصدق، والتوبة، والتقوى، والعبودية، والتوكل، والقسط والعدل، والثبات والصمود.

وهي خصال يحبها الله ويثبت عليها

يقول تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة /١٩٥

﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة/٢٢٢

﴿فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران /٧٦

﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران /١٤٦

﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران /١٥٩

﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة /٤٢

﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ التوبة /١٠٨

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الصف/٤

تقّرب العبد إلى الله أساس كل القيم

إلا أن (التقرب إلى الله) هي الأساس والأصل في هذه القيم جميعاً، بالقياس إلى مسألة الثواب والجزاء عند الله. فما لم يقصد الإنسان بأي قيمة من هذه القيم وجه الله تعالى، ويطلب به التقرب إلى الله لا يستحق بعمله ثواباً وجزاءً عند الله.

فالعدل والإحسان مثلاً، قيمتان من دون ريب ولكن، إن لم يقصد بهما فاعلهما وجه الله تعالى، ولم يتقرب بهما إلى الله فلا يستحق ثواباً وأجراً عند الله.

فما كان من أعمال الإنسان لله، يلقى الإنسان جزاءه عند الله، وما لم يكن لله، فلا يستحق به أجراً وثواباً، إنَّ قيمة العمل عند الله بقدر ما يقصد به العامل وجه الله، فهو مقياس دقيق نقيس به قيمة العمل عند الله والجزاء والثواب بقدر ما يتقرب العبد بعمله إلى الله.

وقد أمر الله تعالى نبيهﷺ أن يجعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته له سبحانه.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام/١٦٢

ولئن كانت (الصلاة) و(النسك) من العبادات التي لا تصح من دون أن يقصد بها صاحبها التقرب إلى الله، فإن الآية الكريمة توسع دائرة (التقرب إلى الله) ليشمل أوسع الدوائر في حياة الإنسان وسلوكه وهي دائرة (المحيا) و(الممات).

ولكن تكون حياة الإنسان ومماته كلها عروجاً إلـى الله لا بد أن يجعلها كلها لله، ويتقرب بها كلها إلى الله تعالى.

فما انفصل منها عن هذه النية فلا يرتفع به صاحبه إلـى الله، وما أتصل منهما بهذه النية ارتفع به إلى الله، وكان فيـه عروجه إلى الله.

وهـذه (النيـة) هـي أن يقصـد الإنسـان بعملـه وجـه الله تعالى ويتقرب به إلى الله، ويأتي به ابتغاء مرضاة الله تعـالى وكل ما لـم يكـن مـن أعمـال الإنسـان بهـذه النيـة، فلـيس يستحق فيه الثواب والآجر من عند الله.

تكامل الإنسان بالقرب إلى الله تعالى

والقرب إلى الله تعالى هو العروج إلـى الله، ومبـدأ هـذا العروج هو التحرر من سلطان (الأنـا والهـوى) وغايـة هـذا العروج هو أن يرقى الإنسان إلى حضـور الله تعـالى، يبصـر جلاله وجماله الذي لا نهايـة لهمـا فـي الجـلال والجمـال،

ببصائر القلوب، كما يبصر بعضنا بعضا بأبصار العيون عن يقين. وان من بصائر القلوب ما يفوق بصائر العيون.

عندئذ يكون الإنسان بحضور الله يبصر جمال الله وجلاله وعظمته وكبرياءه.

وهذا هو ما نقصده من الحضور، وهو درجة عالية ورفيعة من المعرفة واليقين، وثمرته الخشية والحياء من عند الله، وعلى قدر معرفة الإنسان بالله تعالى وجلاله وجماله وعظمته وكبريائه تكون خشيته من الله.

وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾.

فمن كانت معرفته عالية ورفيعة بالله تعالى كانت خشيته من الله عظيمة، ومن كانت معرفته بالله ضحلة وضعيفة كانت خشيته من الله رقيقة وضعيفة، وتقوى الإنسان على قدر خشيه من الله.

فمن كان أعظم خشيته من عند الله كان أعظم تقوى لا محاله وهذه من القضايا التي قياساتها معها. أذن:

١ـ على قدر تقرب الإنسان إلى الله يكون حضوره في رحاب جلال الله وجماله وأسمائه الحسنى.

وهذه النقلة العظيمة من (الأنا) إلى (الحضور) هي النقلة الكبرى في سلوك الإنسان وحركته.

٢ــ ولهذا (الحضور) مشهد في الدنيا ومشهد في الآخرة. أمّا المشهد في الدنيا فهو معية الله تعالى للمؤمنين، وأما المشهد في الآخرة فهو الحضور (عند) الله ولنلقي نظرة نظرة إلى كل من المشهدين.

عن المعية الإلهية في الدنيا يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة /١٥٣

﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة /١٩٤

﴿وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَـعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت/٦٩

وأما المشهد في الآخرة فهو عند الله

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَـاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾آل عمران /١٦٩

﴿إِنَّ الْمُتَّقِـينَ فِـي جَنَّـاتٍ وَنَهَـرٍ فِـي مَقْعَـدِ صِـدْقٍ عِنـدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ القمر/٥٤ـ٥٥

٣ـ وعلى قدر معرفته بالله يكـون حضـوره عنـد الله فـي الآخرة.

٤ـ وعلـى قـدر معرفتـه بـالله تكـون خشـيته مـن الله فـي الدنيا.

٥ـ وعلى قدر خشيته من الله يكون تقواه من الله.

والتقوى هو النقلة الكبيرة الثانية في حيـاة الانسـان مـن

(الهوى) إلى (التقوى).

وهاتان نقلتان عظيمتان في حياة الإنسان يحصلان بالتقرب إلى الله.

النقلة الأولى في المعرفة من (الأنا) إلى لقاء الله.

والنقلة الثانية في السلوك من (الهوى) إلى (التقوى)

النقلة الاولى على صعيد المعرفة.

والنقلة الثانية على صعيد السلوك.

وفي هاتين النقلتين يتكامل الإنسان، وهما يحصلان بالتقرب إلى الله تعالى.

ولهذا البيان توضيح يأتي أنشاء الله.

أذن بين التقرب إلى الله والتكامل صلة وعلاقة، ومهما ازداد الإنسان تقرباً إلى الله ازداد كمالاً.

كيف يتقرب العبد إلى الله

فما هو معنى التقرب إلى الله تعالى؟ وبم يتقرب الإنسان إليه عز شانه؟

ليس القرب بالتأكيد من مقولة الزمان والمكان، وليست الفاصلة بين الله تعالى وعبده فاصلة من نوع الزمان والمكان، حتى يقاس القرب والبعد من الله بهما، فإن الله تعالى محيط بهما.

والقرب والبعد في الزمنيات والمكانيات من المسائل المتكافئة بين الطرفين.

فإذا كان الفاصل بين أول الشهر ووسطه (١٥)يوماً، كان الفاصل نفسه بين وسطه وأوله.

وإذا كان الفاصل بين (س) و(ص) عشرة أميال مثلاً كان الفاصل بين(ص) و(س) أيضاً عشرة أميال، هذا في القرب الزماني والمكاني.

وأما في القرب المعنوي فالأمر يختلف فقد يكون الطرف الأول قريباً من الطرف الثاني، بينما يكون الطرف الثاني بعيداً عن الطرف الأول.

والأمر كذلك في علاقة الله تعالى بعباده فهو تعالى قريب إلى عباده جميعاً من دون إستثناء، بالمعنى العام الشامل.

يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ق/١٦

ويقول تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال/٢٤

ولكن العبد قد يكون بعيداً عن الله، محجوباً عنه تعالى حجاباً كاملاً، تحجبه ذنوبه عن الله.

يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ

مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت/٤٤

وهذا الوقر في آذانهم والعمى في قلوبهم هو الحجاب الذي يحجبهم عن الله، ولذلك (ينادون من مكان بعيد) لِبُعْدهِمْ عن الله، وليس العكس، فإن الله قريب منهم، ولا يحجبهم عن الله حجاب.

يقول تعالى: ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ التوبة /٦٧

وهذا النسيان هو الحجاب الذي يحجبهم عن الله، فينساهم الله من رحمته ورعايته عقوبة لهم.

إذن فما هو معنى القرب إلى الله تعالى

ليس هذا القرب والبعد في مساحة الزمان والمكان ليكون من سنخ الزمان والمكان، وإنما يتم البعد من الله والقرب من الله تعالى في مساحة الشعور، والوعي ، والإدراك، والحب، والطاعة، فيكون القرب والبعد من الله قرباً وبعداً في الإدراك والشعور والفؤاد، كما أن البعد عن

الله يتمَّ بالغفلة والنسيان والإعراض عن الله فيتقرب العبد إلى الله إذا كان ذكراً لله، وبعيداُ إذا نسى الله وغافلاً عن الله، ومعرضاً عن الله.

ويتقرب منه إذا أحب الله تعالى، ويبعد عنه إذا عاداه وحاربه تعالى، ويتقرب إليه إذا أطاعه، ويبتعد عنه إذا شاقه وعصاه فيتحقق القرب بالذكر والحب والطاعة......

ويتحقق البعد بالنسيان والغفلة والعصيان والأعراض عن الله.

القرب والبعد في مساحة النفس والشعور:

ولا بد لهذا المعنى من توضيح وبيان، واليك هذا البيان:

للقرب والبعد دائرتان

الدائرة الأولى في النفس والشعور

والدائرة الثانية في مساحة الزمان والمكان.

والقرب والبعد في الدائرة الأولى يتم في مساحة الشعور والإدراك والذكر والعقل والقلب والفؤاد، وفي الدائرة الثانية يتم في مساحة الزمان والمكان.

وحيث لا معنى للقرب والبعد من الله في الدائرة الثانية، فإن الله تعالى محيط بالمكان والزمان، ولا يحتويه الزمان والمكان، ولا يمكن قياس الأشياء عند تعالى في القرب والبعد بالزمان والمكان ولا معنى للتقرب منه تعالى والابتعاد منه في هاتين المساحتين، فلا يبقى معنى للقرب والبعد منه تعالى إلا في الدائرة الأولى، وهي دائرة النفس والعقل والقلب، فيكون القرب والبعد منه تعالى في مساحة الإدراك والشعور والوعي والمعرفة والحب بالضرورة، فيتقرب الإنسان إلى الله بالذكر، والمعرفة، والحب، والشوق، والأنس، والرضا، والتسلم، والطاعة، والدعاء، والمناجاة، والرغبة، والرهبة، والإيمان، والشكر، والإقبال،

والأخبات، والفزع، والتقوى، والتوبة، والعودة إلى الله، والاضطرار اوالفقر إلى الله.

فان في كل ذلك نحو من الارتباط والاتصال بالله تعالى في مساحة النفس وفي مساحة الإدراك والشعور والمعرفة والسلوك، وخلافة نحو من الابتعاد عن الله في تلك المساحة.

فإن الذكر قرب إلى الله، والنسيان والغفلة بعد عن الله.

والحب يقرب العبد إلى الله، وخلافه يبعد العبد عن الله.

والمعرفة تقرب العبد إلى الله، والجهل يبعد العبد عن الله.

والحب والشوق والأنس يقربان العبد إلى الله، وخلافه يبعد العبد عن الله.

والرضا بأمر الله وابتغاء مرضاة الله يقرب العبد إلى الله،

والسخط والإسخاط يبعدان العبد عن الله.

والتسليم والطاعة يقربان العبد إلى الله، والتمرد والعصيان يبعدان العبد عن الله.

والدعاء والمناجاة يقربان العبد إلى الله، والاستكبار من الدعاء يبعد العبد من الله.

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

والرغبة والرجاء يقرب العبد إلى الله، وانعدام الرغبة إلى ما عند الله، واليأس مما عند الله تعالى يبعد العبد عن الله، بل يخرج العبد من دائرة رحمة الله.

والإيمان والشكر يقربان العبد إلى الله، والكفر يبعد العبد من الله.

والإقبال على الله يقرب العبد إلى الله، والإعراض عن

الله يبعده عن الله.

والتضرع يقرب إلى الله، وقسوة القلب يبعده عن الله ... وهكذا.

والعبادة تتقوم بنية التقرب إلى الله، وهي ابتغاء مرضاة الله ووجه الله بامتثال أمر الله.

وابتغاء وجه الله وطلب مرضاة الله قضية نفسيه تتم في مساحة الإدراك والشعور الإنساني، فيشد الإنسان بالله تعالى، ويعمق إرتباطه به تعالى في هذه المساحة.

وعندما يقترن هذا الطلب النفسي بجهد وتضحية ومشقة كالجهاد والحج والصوم مثلاً تكسب العبادة صاحبها انشداداً نفسياً أكثر بالله تعالى، ويعمق ارتباطه به تعالى بشكل أقوى وأبلغ.

الأساس في القرب

والأساس في القرب في كل ما ذكرناه وما لم نذكره من خطوط القرب إلى الله تعالى هو (المعرفة) فإن (العرفان) بصفات الجلال والجمال وأسماء الله الحسنى يمنح الإنسان الذكر، والشكر، والخشية، والتقوى، والإنابة، والتضرع، والدعاء، والاخبات، والاستكانة، والرغبة، والرهبة، والرجاء، والخوف، والثقة بالله، والتوكل على الله، والطاعة، والانقياد، والتسليم، والرضا، والحب، والشوق إلى الله، والأنس بذكر الله، والتبتل والانقطاع إلى الله، والتوحيد، والاخلاص ... وما لا أستطيع إحصاءه من آفاق القرب إلى الله، وذلك إذا رزق الله تعالى عبده المعرفة والحضور في رحاب الجلال والجمال، وشهود الجلال والجمال الإلهي ببصائر القلوب.

ونحن نقصد بـ (الحضور) و(الشهود): المعرفة.

فإن الحضور في آفاق الجلال والكمال الإلهي بالقلوب وبصائر القلوب، وشهود الجلال والجمال الإلهي، بقدر ما يتيسر للإنسان، ببصائر القلوب هو أعلى درجات (العرفان والمعرفة).

وكل عناوين التقرب إلى الله تعالى التي ذكرها آنفاً، وغيرها من عناوين التقرب إلى الله إنما يحصل للعبد بالمعرفة. وعلى قدر معرفة العبد بالله يتم له كل هذه العناوين.

ولا يتيسر للعبد، أياً ما يكون العبد، الحضور الكامل في آفاق الجلال والجمال ببصائر القلوب، ولا الشهود الكامل لها ببصائر القلوب، وحاشا أن يتم للمخلوق المحدود الإحاطة والمعرفة بكل آفاق الجلال والجمال، وهما مطلقان، والعبد ووعيه وإدراكه وبصائره محدودة، ولكن بقدر ما يتم للعبد من (المعرفة) والحضور

و(الشهود) يكسب العبد العناوين المتقدمة للتقرب إلى الله.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾

ولا شك أن الخشية من عند الله من أبرز عناوين القرب إلى الله، كما أن الجرأة على الله من أبرز عناوين البعد من الله وتحقق الخشية والخوف من الله بالعلم والمعرفة، كما أن الجرأة والاستكبار على الله من نتائج الغفلة والاعراض عن الله.

والمقصود بالعلم في هذه الآية الكريمة هو (المعرفة)، وأقدار الناس من المعرفة مختلفة. وعلى قدر أقدار الناس من المعرفة خشيتهم من الله تعالى، وبمقدار ما يخشى العبد ربه يكون قرب إلى الله تعالى.

وهذه معادلات واضحة قياساتها معها، لا تحتاج إلى تبيين وتوضيح بعد البيان الذي قدمناه.

وقد ورد في النصوص الإسلامية تأكيد لهذا المعنى

الذي أسسه القرآن.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان بالله أعرف كان من الله أخوف[1].

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: عجبت لمن عرف الله كيف لا يشتد خوفه[2].

وعنه عليه السلام أيضاً: البكاء من خيفة الله عباد العارفين[3].

وعنه عليه السلام أيضاً: غاية المعرفة الخشية[4].

وعنه عليه السلام أيضاً: غاية العلم الخوف من الله سبحانه وتعالى[5].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٠ / ٣٩٣.

(٢) غرر الحكم للآمدي

(٣)غرر الحكم للآمدي

(٤)غرر الحكم للآمدي

(٥) غرر الحكم للآمدي.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: الخوف جلباب العارفين[2].

وعلاقة الخشية بالمعرفة واضحة، كما أنَّ علاقة القرب إلى الله بالخشية واضحة.

وذلك أن العبد مهما تكن معرفته بالله تعالى وعظمته، وسطوته، وجبروته، وكبريائه، وسخطه، وغضبه الذي لا تقوم له السماوات والأرض أكثر تكون خشيته وخوفه من الله أعظم.

وهذه هي المعادلة الأولى في آية فاطر/ ٢٨.

والمعادلة الثانية: مهما كانت خشية العبد من الله تعالى

(١) تنبيه الخواطر ٤١٧.

(٢) غرر الحكم للآمدي.

أعظم كان قربه إليه أعظم.

وكذلك الذكر من ثمرات المعرفة. ومهما كان العبد أعظم معرفة بالله تعالى كان أكثر ذكراً له، ومهما كانت معرفة العبد بربه أقل كانت غفلاته وسهوه ونسيانه لله تعالى أكثر.

والأمر كذلك في الورع والتقوى فإنه مهما تكن معرفة العبد بالله تعالى وجلاله وكبريائه وعظمته وسلطانه وسخطه على الظالمين والطغاة أكثر ... كان ورعه وتقواه أعظم لا محاله، كما يكون خوفه وخشيته من الله أعظم.

روى رسول الله ﷺ: لكل شيء معدن (يعني أصل وأساس) ومعدن التقوى قلوب العارفين[1].

---

(١) مشكاة الأنوار: ٢٥٦.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (من عرف كف)[1].

أي من عرف الله تعالى كف نفسه عن الهوى

وعنه عليه السلام أيضاً: (التقوى ثمرة الدين وإمارة اليقين)[2].

ولا شك أنَّ الورع والتقوى من معارج القرب إلى الله، كما أن الفجور والفسق من أسباب ابتعاد العبد عن الله.

والتسليم بقضاء الله والرضا بقدره يقربان العبد إلى الله، وهما من أعظم عناوين التقرب إلى الله، وبالعكس: الاستياء من قضاء الله وقدره والانزعاج منهما يبعدان العبد عن الله.

وهما (أي التسليم والرضا) من بركات المعرفة وثمراتها، فإن العبد إذا كان يعلم أن قضاء الله تعالى وقدره

---

(١)غرر الحكم للآمدي.

(٢) غرر الحكم للآمدي.

فيه ناشئ من رحمته بعباده وحكمه وأنه تعالى لا يريد لهم في قضائه وقدره إلا الصلاح والخير سلّم نفسه لله تعالى ورضى بقضائه وقدره.

وقد روي في هذا المعنى عن الإمام الباقر عليه السلام: (أحق خلق الله أن يُسَلِّم لَما قضى الله عز وجل من عرف الله)[1].

وعن الصادق عليه السلام: إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل[2].

والتوحيد أعظم عناوين القرب إلى الله على الاطلاق ... ولا إشكال أنه من ثمرات المعرفة. وكلما ازدادت معرفة الإنسان بالله تعالى عظم توحيده لله.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: من

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٦٢.

(٢) تنبيه الخواطر: ٤١٦.

عرف الله وحد[1].

والتواضع لله من عناوين القرب لله، وبخلافه التكبر والتطاول على الله سبحانه وتعالى يبعدان العبد عن الله.

وهو من نتائج المعرفة، بلا إشكال.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له[2].

والخوف والرجاء من عناوين التقرب إلى الله، والتجرأ عن الله واليأس عنه عز شأنه يبعدان العبد عن الله.

والخوف والرجاء من نتائج المعرفة

وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ينبغي لمن

(١) غرر الحكم للآمدي.

(٢) نهج البلاغة خط ١٤٧.

عرف الله أن لا يخلو قلبه من رجائه وخوفه[1].

وكذلك التوكل على الله والثقة بالله يقربان العبد إلى الله، والاعتماد على النفس والثقة بالآخرين من دون الله من الشرك الذي يبعد العبد عن الله.

عن علي أمير المؤمنين عليه السلام: ينبغي لمن عرف الله أن يتوكل عليه[2].

وعن الصادق عليه السلام: ثق بالله تكن عارفاً[3].

والشوق إلى الله من عناوين القرب إلى الله وهو من ثمرات المعرفة.

عن علي أمير المؤمنين عليه السلام: الشوق خُلْصان

---

(١) غرر الحكم.

(٢) غرر الحكم.

(٣) بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٦١.

العارفين[1].

والعزوف عن الدنيا من أبواب القرب إلى الله وبخلافه الإقبال على الدنيا من عوامل البعد عن الله.

وهو من ثمرات المعرفة.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: كل عارف عازف[2].

والسؤال والدعاء من الله تقرب العبد إلى الله تعالى، ومن أعظم عناوين القرب والتقرب، وخلافه الإعراض عن الله في السؤال والدعاء يبعدان العبد عن الله ويمقته الله المستكبرين عن الدعاء أشد المقت.

يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ**

(١) غرر الحكم.

(٢) غرر الحكم.

دَاخِرِينَ﴾.

والاستكبار عن العبادة في هذه الآيـة الكريمـة، بقرينـة السياق هو الاستكبار والاستعلاء عن الدعاء.

والسؤال عن الله والدعاء ثمرتان للمعرفة.

ومن يعرف فضله وكرمـه ورحمتـه التـي تفـيض علـى عباده فيضاً، وتصب عليهم من غير حساب، وأن الله تعـالى كـريم، يحـب العطـاء، ويـدعو عبـاده إلـى أن ينهلـوا منـه رحمته بالسؤال والدعاء...

أقـول: مـن يعـرف ذلـك كلـه لا يتـوانى عـن الـدعاء والسؤال اطلاقـاً، ولا يكـون شـيء أحـب إليـه مـن الـدعاء والسؤال من الله.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أعلم النـاس بـالله أكثـرهم

له مسألة[1].

والإخلاص لله من أعظم عناوين التقرب إلى الله بعد التوحيد وهو من ثمرات المعرفة.

ومن يعرف الله وكرمه وعطاءه وإحسانه ورحمته لا يطلب غير مرضاة الله، ولا يبتغي وجهاً غير وجه الله، ويخلص عمله كله لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وكل ذلك يقربه الى الله، واذا ابتغى الانسان بعمله وجوه الناس أبعده ذلك عن الله.

ويطول بنا المقام لو أردنا إحصاء عناوين القرب والتقرب إلى الله، وعلاقتها بالعرفان والمعرفة.

---

(١) غرر الحكم للآمدي ، ميزان الحكمة: ١٠ / ١٥٣ ـ ١٦٥. المعرفة وهو العنوان ٣٤٧ من عناد عن الكتاب.

وعلى الإجمال أقول: إن المعرفة بالله من أعظم عناوين القـرب والتقـرب إلـى الله وبخلافـه الجهـل والاعـراض والغفلة والنسيان لله يبعد الإنسان عن الله، وهذا أمر واضح لا أوضح منه، ومن القصائد التي قياساتها معها، كما يقـول علماء (المنطق)، ولا يحتاج إلى توقف، ولا يتردد الإنسان في ذلك.

فـارجع إلـى نفسـك تجـد نفسـك قريبـة ممـن تعرفـه بالرحمة والكرم والخير والصلاح والتقـوى، وبعيـدة عمـن تجهله. لا شك في ذلك.

وإذا كان الـذي يعرفـه الإنسـان هـو الله تعـالى بمطلـق الجلال، والجمال، والكمال، والكبرياء، والعلو، والإحسان، والجود، والرحمة، فلا يفارق الله تعالى قلبه على الإطلاق، إذا عرفه تعالى، كما ينبغي له من المعرفة، ولا يكـون قلبـه إلا مع الله ولا يأنس بغير الله، ولا يشـتاق إلـى غيـر الله، ولا

يسهو عن الله تعالى طرفة عين، لو أن العبد عرف ربه كما ينبغي له.

عن الإمام الصادقعليه السلام: العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه[1].

والعرفان والمعرفة في نفس الوقت أساس كل عناوين القرب والتقرب إلى الله تعالى.

الحضور

وهذه المعرفة بصفات الجلال والجمال، وبأسماء الله الحسنى، وبكبريائه، وعظمته، وسلطانه المطلق هي بمعنى الحضور ببصائر القلوب في آفاق الجلال والجمال والكبرياء والعظمة.

---

(١) بحار الأنوار: ١٣ / ١٤.

وهـذا الحضـور يسـتتبع لا محالـة: الـذكر، والشـكر، والطاعة، وحب الله، والأنـس بـذكر الله، والشـوق إلـى الله، والخوف، والرجـاء مـن الله، والرغبـة، والرهبـة، والتقـوى، والدعاء، وحسن الظن، والإنابة، والتضرع، وابتغـاء مرضـاة الله.

ولهذا الحضور في آفاق الجلال والجمال مراتب.

فمن الناس من يذكر الله تعالى حيناً وينصرف من ذكر الله حيناً، ومن الناس من يذكر الله كـل حـال، ومـن النـاس من يذكر الله إذا مسّه ضر أو سوء، ومن النـاس مـن يـذكر الله، كل حين، في السراء والضراء، ومن الناس مـن ينقطـع إلى الله كل شيء، ولا يشغله عن الله شيء.

ومن يرزق الحضور في آفـاق الجـلال والجمـال بكـل قلبه وعقله، لا يشـغله عـن ذكـر الله شـاغل مـن الـدنيا، ولا يبقى في قلبه حيز يشغله شيء عـن حـب الـدنيا ولا يشـغله

حب الله، ويمتلأ قلبه حباً لله، وشوقاً إليه، وأنساً وولهاً به، ورغبة، ورهبة، ورجاء، وخوفاً، وخشوعاً، وتعظيماً، وذكراً، ولا يشغلهم عن شاغل من شواغل الدنيا، ويعيشون مع الناس في الدنيا، كما يعيش الآخرون من الناس ولكن قلوبهم متعلقة بالله تعالى.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾النور/٣٧

وليس معنى ذلك أنهم يقاطعون التجارة والبيع في الاسواق. كلاَّ فهم يدخلون الاسواق للتجارة والبيع، كما يدخلها غيرهم، ولكن لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقامة الصلاة.

أولئك منقطعون إلى الله.

وللانقطاع إلى الله وجهان لابد منهما: القطع من غير الله، والانقطاع إلى الله، وهما وجها قضية واحدة، من لا يقطع قلبه عن غير الله لا ينقطع إلى الله لا محالة.

وقد ورد في المناجاة الشعبانية: (الهي هب لي كمال الانقطاع إليك) وكمال الانقطاع إلى الله هو أن لا يبقى في قلبه حيز لغير الله ولا يشغله شاغل من الله.

وورد في المناجاة الشعبانية:

(وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك).

والنظر إلى الله في هذه الفقرة من المناجاة هو النظر إلى جمال الله وجلاله وأسمائه الحسنى ببصائر القلوب والمعرفة.

ولكي تتمكن أبصار القلوب من النظر إلى جلال الله وجماله، واستحضار معاني جلاله وجماله تعالى لابد من أن يملأ الله تعالى هذا القلب نوراً، ويفتح أبواب قلبه على آفاق جماله وجلاله حتى تخترق حجب النور فتصل إلى

معدن العظمة.

فإن بين قلوبنا ومعدن الجلال والجمال والعظمة حجب من النور لابد من إختراقها، وكما تحجبنا من النظر إلى جلال وجماله تعالى حجب الظلمة، من أهواء النفوس والرين على القلوب، كذلك النور تبهر أبصار القلوب، فتحجبه عن النظر إلى وجهه الكريم.

ولكي تخترق أبصار قلوبنا حجب النور فنصل إلى معدن العظمة لابد أن يكسب هذا القلب من عند الله نوراً يمكنه من اختراق حجب النور فنصل إلى معدن العظمة.

(وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فنصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك).

وهذه المرحلة من الحضور والمعرفة، هي أرفع مراتب الحضور.

المصدر الأول لمعرفة الله تعالى

وإذا كانت معرفة الله هو أساس كل عناوين التقرب إلى الله، فإن الله تعالى هو مصدر كل معرفة وعرفان، ولا يعرف العبد ربه سبحانه وتعالى إلا بالله، والدليل إلى الله على هذا الطريق هو الله:

وقد ورد في دعاء الأسحار للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

(معرفتي يا مولاي دلتني عليك، وحبي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك ومن شفيعي إلى شفاعتك).

وفي نفس الدعاء:

(بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ولو لا أنت لم أدر ما

أنت)[1].

وبطلب العبد من ربه سبحانه وتعالى أن يأخذ بيده إليه تعالى.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام في المناجاة:

(سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله، إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك، وسيرنا من أقرب الطرق للوفود عليك)[2].

وعن علي بن الحسين عليه السلام أيضاً في المناجاة:

(اللهم اجعلني من الذين جدوا في قصدك، فلم ينكلوا، وسلكوا الطريق إليك فلم يعدلوا، واعتمدوا في الوصول

(١) دعاء ابي حمزة للامام زين العابدين عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤ / ١٤٧.

إليك حتى وصلوا)[١].

فإذا طلب العبد العرفان والمعرفة، فلن يجده في موقع أفضل مما هو عند الله، فعلى العبد أن يلجأ إلى الله صادقاً ويسأله بجد واجتهاد أن يرزقه المعرفة، فإذا عرف الله تعالى في دعائه الصدق في الطلب رزقه المعرفة، وإذا رزقه المعرفة رزقه القرب منه تعالى، وإذا وهبه القرب منه، فلن يُحْجَبْ من شيء من مواهب الله تعالى وعطائه في دار المقام عند الله، ويطلب العبد من الله تعالى أن يرزقه الشوق إلى ذكره والأنس بمناجاته، وأن تأخذ لوعة حبه بمجامع قلبه، ويرزقه أن يرتع في رياض قربه، ويرتوي من حياض حبه.

فاسمع إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

(١) بحار الأنوار: ٩٤ / ١٥٦.

(إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى الأوكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع (مناهل) المصافات يردون. قد كُشِفَ الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم، وعذب في معين المعاملة شُرْبهم، وطاب في المجالس الأنس سِرَّهم، وأمن في مواطن الخوف سِربهُم، واطمأنت بالرجوع إلى رب الأرباب أنفسهم وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم واستقر بادراك السؤال ونيل المأمول قرارهم، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم).

والله تعالى جواد كريم، لا ينقص من ملكه مهما بذل من عطائه، وخزائن رحمته لعباده. فلم لا يسأل العبد ربه أن يرزقه من زلال المعرفة، ووَجْدِ الحب، وخلوات الأنس، ولوعة الشوق، ورياض القرب، وحياض الوجد والهيام، ما كان يسأله ويدعوه له زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في خلوات مناجاته في آناء الليل.

وهو تعالى يحبّب الإيمان إلى قلوب عباده وُيكَرِّهُ إليهم الكفر والنفاق، فتقبل قلوبهم على الإيمان والتوجه والاخلاص، وتعرض قلوبهم عن الكفر والنفاق، ويحبب إليهم العمل بالصالحات وُيكَرِّهَ إليهم الكفر والذنوب والمعاصي والفسوق.

يقول تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**

أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[1].

كما العكس أيضاً صحيح، فإن الله تعالى يكره المنافقين، ويكره أعمالهم، ويكره خروجهم للجهاد فيثبطهم عنه، ويحشرهم مع القاعدين.

يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾[2].

ولهذا وذاك سبب من صدق العبد في نيته وصلاحه وكذبه ونفاقه وسوء نيته، فإن عرف الله تعالى فيه صدق النية أكرمه وحبّب إليه الإيمان وكَرَّه الكفر والفسوق والعصيان، وإن عرف منه الكذب والنفاق والسوء ثبطه من العمل الصالح والخروج للجهاد، وكَرِهَ انبعاثه وسلبه لذة

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) التوبة: ٤٦.

الطاعة... وهذا الجزاء من سنخ العمل والنية.

قرب الله من عبده

تحدثنا لحد الآن من قرب العبد إلى الله

ونتحدث الآن عن الوجه الآخر لهذه القضيه، وهو قرب الله من عبده، فإذا ناجاه يسمعه، وإذا دعاه يستجيب له ولابد لهذه الكلمة من توضيح، فأقول:

إن لله تعالى نحوين من القرب من عباده وخلقه:

١ ـ القرب الشامل العام ٢ ـ قرب التكريم

وإليك التوضيح:

اولاً: القرب العام الشامل:

والله تعالى بهذا المعنى من القرب، قريب من خلقه وعباده جميعاً، من دون استثناء، الصالح منهم والفاسد، والمؤمن منهم والمنافق، على حد سواء.

يقول تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ﴾(1).

ويقول تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾(2).

ثانياً: قرب التكريم:

ويخص الله تعالى بهذا القرب عباده الصالحين المقبلين عليه، والتائبين والمنيبين والمتضرعين إليه.

يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾(3).

فإذا آمنوا واستجابوا لله كان الله قريباً منهم الوجه الأول في هذه الآية الكريمة من سورة البقرة / ١٨٦ وجهان

---

(١) ق: ١٦.

(٢) الأنفال: ٢٤

(٣) البقرة: ١٨٦.

كل منهما مرتبط بالآخر.

الوجه الأول في علاقة العبد بالله تعالى، وقوام هذه العلاقة في الإيمان بالله والاستجابة لدعوة الله ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾.

فإذا آمن العبد بالله واستجاب لدعوة الله، فقد حقق الوجه الأول من وجهي العلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعبده.

فإذا كسب العبد بذلك القرب من الله تعالى... كان الله تعالى قريباً منه يستجيب له إذا دعاه، ويسمعه إذا ناجاه وإذا طلبه وجده وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.... وهذا هو الوجه الثاني في هذه الآية الكريمة، ١٨٦ من سورة البقرة

وبالتأمل في هذه الآية يظهر لنا أن الآية الكريمة تتضمن نحوين من الإقبال: إقبال العبد على الله، ويتحقق

ذلك بالإيمان والاستجابة لدعوة الله، وإقبال الله على العبد وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾.

ولكن يبقى أن نقول أن هذه القضية إذا انتهت بقرب الله من عبده فلن تبتدأ بقرب العبد من الله، فإن قرب العبد من الله تعالى لا يزيد على أن يكون إستجابة من العبد لدعوة الله. ونقطة البداية من عند الله حيث يدعو عباده إلى الاستجابة لدعوته، وإقبال العبد على الله لا يزيد على أن يكون استجابة لدعوة الله.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

أن البادي بالدعوة هو الله تعالى وليس للعبد في أفضل

---

(١) الأنفال: ٢٥.

الأحوال إلا أنه استجاب لدعوة الله فيجزيه الله الحياة الطيبة بالاستجابة لهذه الدعوة المحيية ﴿**إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾.

ويقول تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[1].

فهنا دعوتان واستجابة:

الدعوة الأولى من الله لعباده ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي**﴾ والدعوة الثانية دعاء العبد لله، استجابة لدعوة الله.

والاستجابة من الله لدعاء عبده.

والقضية وإن كانت تبدو لأول وهلة أن لها وجهين: دعاء العبد لله واستجابة الله لدعاء عبده، إلا

---

(١) غافر: ٦٠.

أننا نجد ما وراء الوجه الأول وجهاً سابقاً عليه، وهو دعوة الله تعالى لعباده برعاية ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾.

فدعاء العبد إذن يقع بين رحمتين من عند الله رحمة سابقة ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي**﴾ ورحمة الله لاحقة ﴿**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾.....

ويبقى أن نقول بعد ذلك أن استجابة العبد لدعوة الله من رزق الله ورحمته وتوفيقه، وأني للعبد أن يستجيب لدعوة الله إن لم يوفقه الله تعالى لذلك.

وهذا هو قرب التكريم الخاص بعباد الله الصالحين.

المعية الشاملة ومعية التكريم

ويشبه هذا المعنى في تقسيم القرب إلى القرب الشامل العام وقرب التكريم، تقسيم المعية الإلهية لعباده إلى معية شاملة وعامة تشمل كل الناس الصالح البار والفاسد الفاجر، ومعية التكريم الخاصة بعباد الله الصالحين.

عن المعية الأولى الشاملة يقول تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(١).

وهذه المعية تشمل عامة الناس: المؤمنين الصالحين، والمشركين، والمنافقين، والفاسقين، على نحو سواء.

وعن معية التكريم الإلهية الخاصة يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(٢).

﴿**وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾(٣).

---

(١) المجادلة: ٧.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) البقرة: ١٩٤.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1].

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

العلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعباده:

ونعود مرة أخرى إلى صلب الحديث عن (قرب الله تعالى من عبده).

فنقول: إذا أقبل العبد على الله تعالى أقبل الله تعالى على عبده، وجازاه الله تعالى بالإقبال إقبالا، وبالذكر ذكرا، وبالحب حبا، وبالرضى رضى.

ولنبدأ بذكر الله، ولا شك أن الذكر من أعظم عناوين تقرب العبد إلى الله ، وقد شرحنا ذلك من قبل.

---

(١) النحل: ١٢٨.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

فأقول: إن الله تعالى يأمرنا بذكره أولاً ويعدنا بأن يبادلنا الذكر بالذكر ثانياً.

أما أولاً فإن الله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾(1).

ويقول تعالى: ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلحون**﴾(2).

وأما ثانياً: فإن الله تعالى يعدنا أن يجزينا بالذكر ذكراً، فإذا ذكرناه ذكرنا.

يقول تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾(3).

وفي هذه الآية الكريمة ذكر ان: ذكر العبد لله، وذكر

---

(١) الأحزاب: ٤١.

(٢) الأنفال: ٤٥.

(٣) البقرة: ١٥٢.

الله تعالى لعبده.

وعلى هذا القياس، مهما أقبل العبد على الله أقبل الله على عبده.

وننتقل إلى عنوان آخر من عناوين القرب، وهو الحب، ولا شك أن حب العبد لله يقربه إلى الله وخلافه يبعده عن الله، فأقول: إنَّ الله تعالى يأمرنا بحبه أولاً، ويعدنا ثانياً أن يبادلنا الحب بالحب، فيقول تعالى عن حب العبد لله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) الإنسان: ٧ ـ ٨.

الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾[2].

ويقول تعالى عن حبّه لعبادة الصالحين المتطهرين والتوابين:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3].

﴿ واللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4].

وعن الحب المتبادل بين الله تعالى وعبده يقول تعالى:

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) البقرة: ٢٢٢.

(٤) التوبة: ١٠٨.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2].

وعن رضا الله تعالى عن عبده يقول تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[4].

وعن رضا الله تعالى عن عباده يقول تعالى:

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) طه: ٨٤.

(٤) التوبة: ٦٢.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

وعن الرضا المتبادل بين الله تعالى وعبده يقول تعالى:

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

---

(١) الفتح: ١٨.

(٢) المائدة: ١١٩.

(٣) التوبة: ١٠٠.

ويقول تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(١).

وعلى هذا المنهاج، مهما أقبل العبد على الله تعالى في الذكر، والشكر، والحب، والطاعة، والإنابة، والتوبة، والإخلاص والتوحيد والدعاء والتضرع... أقبل الله تعالى عليه أضعاف ذلك.

عن الإمام الصادق عليه السلام: (من أراد أن يعرف كيف

---

(١) المجادلة: ٢٢.

منزلته عند الله فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينـزل العبد مثل ما ينزل العبد الله من نفسه)[1].

وقد ورد في النصوص الإسلامية تأكيد وتبيين كثير للعلاقة المتبادلة بين الله تعالى وعبده في الذكر والشكر والحب والرضى.

ومن ذلك ما روي من الحديث القدسي، فيما أوحى الله تعالى إلى داود:

يا داود أبلغ أهل أرضي إني حبيب من أحبني، وجليس من جالسني، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، وما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً منه، إلا قبلته لنفسي، وأحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني، ومن

(١) بحار الأنوار: ٧١ / ١٥٦.

طلب غيري لم يجدني.

فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من عزورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، أؤنسكم وأسارع إلى محبتكم[1].

وأوحى الله إلى بعض الصديقين: أن لي عباداً من عبيدي: يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إلي وأشتاقهم ويذكروني وأذكرهم أول ما أعطيهم ثلاث:

الأول: أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم.

والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالث: أقبل بوجهي عليهم. أفترى من أقبلت عليه بوجهي، يعلم أحد ما أريد أن أعطيه[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٠ / ٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٠ / ٢٦.

الفهرس